أوصاف فتح مكة المكرمة
بيدي حضرة سيد الكونين ورسول
الثقلين، وشفيع من في الدارين ﷺ

إن أوصاف البيت الشريف التى حررناها هي مسطورة في كتب التاريخ ، وتتناول البيت العتيق منذ هبوط آدم عليه السلام ، وما بعده . وتتناول ما دارحول البيت المعمور من حروب ، وجدال ، ونضال للتمكن منه ، والسيطرة عليه . فكل ذلك تُسجله كتب التاريخ . ولكن ما أُسجله هنا ؛ أن حضرة صاحب النبوة فى السنة السابعة عشر من الهجرة إلي المدينة ، قاد بذاته الطاهرة من طيبة الطيبة ، أربعة وسبعين ألفاً من المهاجرين والأنصار وحاصر مكة المكرمة . . وفتحها عنوة ، وبقوة ساعديه من المنكرين ومشركي قريش ، وغنم كل أموالهم . وكل كتب المآثر الإسلامية تتحدث بالتفصيل عن هذا الفتح المبين ، الذى شرف المسلمين ، ورفع راية الإسلام . وما أن دخل الرسول الكريم مكة المكرمة حتى أسلم بين يديه الكريمتين ؛ أبو سفيان بن حرب ، وحليم بن جرام ، وبديل بن ورنا ، وعكرمة بن أبو جهل ، وعبد الله بن سعد بن الصرح ، وأبو قحافة والد الصديق أبي بكر والذى كان مكفوف البصر. وقد آحضره ، إبنه وتشرف بالإسلام بين يدي الرسول الكريم . وفى يوم فتح مكة خلع الرسول على خالد بن الوليد ، وعينه قائداً على رأس الجيش المتجه إلى بلاد الروم ، وسلَّمه علم الرسول « ﷺ » . وتوجه بن الوليد على رأس أربعين ألفاً من الصحابة الميامين إلي قيصر الروم ، وفتح الشام الشريف ، وهزم الروم شر هزيمة ، وغنم منهم الغنائم الوفيرة التى فاقت طاقة الآلاف من البعير ، وذلك بعد أن أعمل فيهم سيفه وسيوف صحابته . ثم عاد إلى المدينة المنورة تحف به آكاليل الظفر والإنتصار . . وكانت هذه هي بداية غزوات الروم . وبعد هذه المعركة أطلقوا على خالد بن الوليد « سيف الله المسلول » .

ويسجل مؤرخو العالم الكيفية التى أصبحت بها الكعبة معمورة ؛ فبعد هبوط سيدنا آدم ، جعل الله سبحانه وتعالى مكة المكرمة مهبط أديم الأرض ، وبعث به إلي البيت المعمور . وأنزل رب العزة والجلال بيتاً من الياقوت الأحمر ليكون مكاناً لعبادة آدم عليه السلام ، وبقي آدم يعبد ربه فى هذا البيت المعمور ، ويدعوه سبحانه وتعالى

قائلاً : (اللهم أجعل لى عماراً من ذريتى) . وأستجاب الله لدعاء سيدنا آدم ، وعمرت مكة يوماً بعد يوم . وخلال طوفان نوح عليه السلام ، رفع الله البيت المعمور إلى جنة المأوى وبعد الطوفان ، وفى زمن سيدنا ابراهيم .. وأستجابةً لدعوة سيدنا آدم السابقة ، قام الخليل ابراهيم بإعادة بناء البيت العتيق ببركة هذا الدعاء . وجاءه النداء من الباري سبحانه وتعالى :

﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ (١) .

فسأل سيدنا إبراهيم ربه ؛ ياربي ومَنْ يسمع صوتى ، فخاطبه الحق سبحانه ؛ منك الآذان ، وعلىَّ البلاغ . وعلى الفور صعد خليل الرحمن إلى ذروة جبل أبى قبيس ، وبدأ فى الآذان فى الجهات الأربع ،.. ياعباد الرحمن .. لقد بني ربكم بيتاً فتعالوا وأعبدوه ، تعالوا للحج والطواف .. وأسْمَع الله تعالى صوت النبي ابراهيم لكل المخلوقات ؛ بين السماء والأرض ، وحتى العلقة ، والمضغة فى أرحام الأمهات .. فردت جميع المخلوقات مرة ، ومرتين – وآلاف المرات « لبيك اللهم لبيك » . مرددة وملبية . وكلما زادت التلبية ، زاد الحج يسراً وتسهيلاً .. ومَنْ لم يسمع الصدى يُحرم من الحج ، ولكنه يُيَسر بالوكالة ؛ ويكون كمن أدى الحج .. وقد كتب بعض المفسرين هذا ، وأيدوه .. وهكذا عُمِّرت الكعبة الشريفة ببركة دعاء سيدنا آدم ، وبصوت آذان سيدنا إبراهيم .. وها نحن نُشاهد آلاف الحجاج يلبون النداء فى كل عام ، وستظل معمورة إلى أن يتوقف العالم عن الدوران . وستعمر دائماً بحجاج الله من المسلمين : « بيت »

(هر كمه كعبه نصيب اولصه خودا رحمت ايدر سودكي كيشي حق خانه سينه دعوت ايدر) (*) .

* * *

(١) سورة الحج : آية ٢٧ .

(*) الترجمة : (كل من كانت الكعبة من نصيبه يرحمه الله وعليه ان يدعو مَنْ يُحب إلى بيت الله) .